ثم يبدأ بالحديث عن أول ما نزل من القرآن الكريم فيما يروى عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «أول ما بدئ به رسول الله - ﷺ - من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد، الليالى ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله - ﷺ -: فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذ منى فنطق الثالثة حتى بلغ منى الجهد فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ حتى بلغ ﴿ما لم يعلم﴾ فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة، فقال: زملونى زملونى، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة مالى؟ وأخبرها الخبر، فقالت له: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق» رواه البخارى ومسلم.

ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن آخر ما نزل من القرآن الكريم ويذكر جملة ما يذكر فى هذا المقام، بعد ذلك يحدثنا عن آية التسمية، وبيان نزولها، عن ابن عباس أنه قال؛ أول ما نزل به جبريل على النبى - ﷺ - قال: يا محمد استعذ ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم، وعن ابن عباس أيضا قال: «كان رسول الله - ﷺ - لا يعرف ختم السورة حتى ينزل عليه (بسم الله الرحمن الرحيم)، وعن عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: «نزلت بسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة».

وينتقل المؤلف إلى الحديث عن القول فى سورة الفاتحة، وهكذا تبدأ مسيرة الكتاب فيتحدث عن سبب نزول السور بدءًا من البقرة متبعًا ترتيب سور المصحف حتى يصل إلى المعوذتين.

منهجه فى بيان أسباب التنزيل:

أول ما يلحظ علي منهج أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى فى كتاب (أسباب النزول) أنه يحرص على بيان سلسلة الإسناد بدءًا بجملة (أخبرنا)،